

## علم المناسبات بين السور والآيات

حامد أشرف همداني \*

نهج القرآن الكريم منهجاً فريداً في عرضه للقضايا والأغراض التي تضمنها، خالف به سائر المناهج الوضعية السابقة له أو اللاحقة، التي اصطلحت في مناهجها أن تبني على مقدمات ومباحث متسلسلة، أو أبواب وفصول إلى غير ذلك من التقسيمات في إطار مقاصد محدودة، ونتائج مرسومة.

فالقرآن الكريم ليس كذلك، فهو آيات متجمعة، ذات مرام متنوعة، ومقاصد شتى، فتراه يرلوح بالموعظة حيناً، والقصة حيناً، ثم يحكم شرعي حيناً آخر، ويذكر طرفاً من الشيء، ثم يتركه، ثم يعود إلى إتمامه. وهكذا حتى لا تسأم النفوس هديه، ولا تستقل حديثه، وهذا أمر طبيعي لأنه ليس كتاباً فنياً متخصصاً، يفرد لكل غرض من أغراضه باباً مستقلاً، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد وتوجيه وتشريع.

قال الأستاذ محمد عبده: "إن القرآن ليس كتاباً فنياً، فيكون لكل مقصد من مقاصده باب خاص به، وإنما هو كتاب هداية ووعظ، يتنقل بالإنسان من شأن من شؤونه إلى آخر، ويعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة، مع التنفنن في العبارة، والتنويع في البيان". (١)

هذا المنهج الفريد استرعى انتباه قلة من العلماء والمفسرين قديماً وحديثاً فانكبوا على دراسته، وأفردوا علماً مستقلاً، يدرس خصائصه، ويحدد معالمه، ويحلي غوامضه، أطلقوا عليه: (علم المناسبات) فما معنى المناسبات؟ وما صلته بالنص القرآني؟ وما موقف العلماء منها؟

\* محاضر بالقسم العربي، جامعة بنجاب

### المناسبة لغة :

جاء في معجم مقاييس اللغة: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء. منه النسب، سمي لا اتصاله وللا اتصال به . تقول: نسبت أنسب وهو نسيب فلان. ومنه النسيب في الشعر إلى المرأة، كأنه ذكر يتصل بها، والنسب: الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض" (٢)

وفي الصحاح للجوهري: "فلان يناسب فلاناً فهو نسيبه، أي قريبه، وتقول: ليس بينها مناسبة، أي مشاكلة" (٣)

وفي القاموس: "المناسبة: المشاكلة" (٤)

والمشاكلة بمعنى المماثلة. تقول: هذا شكل هذا: أي مثله (٥) فالمناسبة لغة تعني: الاتصال والقراءة، والمماثلة. ويبدو أن توافق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة هو السبب في عدم وضع اصطلاح لها (٦) إلا أنه بالإمكان استخلاص هذا المعنى من خلال أقوال العلماء والمفسرين المشيدة بهذا العلم ويعني: "البحث عن أوجه الارتباط بين الآية وجارتها، أو بين الآيات في مجموع السورة الواحدة، أو بين السورة والسورة". ولعل أول من أظهر هذا العلم ببغداد الإمام أبو بكر النيسابوري وكان يقول إذا قرئت عليه الآية، لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ (٧)

قال الإمام ابن العربي مشيداً بهذا العلم: "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، متظمة المباني علم عظيم" (٨)

ويبين الإمام برهان الدين البقاعي خصائصه، وموضوعه، وثمرته بقوله: "علم مناسبات القرآن: علم تعرف منه حلال ترتيب أجزائه. وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسباته من حيث الترتيب. وثمرته: الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلمته النسب" (٩) ولقد قيل: المناسبة أمر

معقول، إذا عرض على المعقول تلقته بالقبول (١٠).

ومما تجدر الإشارة إليه من خلال الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (المناسبة) أنها تعني: أن الآية وجارتها شقيقتان يربط بينهما رباط من نوع ما كما يربط النسب بين القرابين، غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيتان أو الآيات متماثلة تمام التماثل، بل ربما يكون بينهما تضاد أو تباعد في المعنى، كما لا يتوقع أن تكون الأختان الشقيقتان متماثلتين تمام التماثل.

إلا أن الرابط قائم، والصلة موجودة، سواء أكتشفها العلماء أم لا، فقد تظهر أحياناً، وتختفي أحياناً أخرى، وفي هذا مجال لتسابق الأفهام.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشير أيضاً إلى أن البحث عن أوجه الارتباط بين آيات القرآن وسوره، مبني على أن ترتيب السور توقيفي، كما هو الحال في ترتيب آياته، وهو الرأي الراجح والمتمم (١١).

ولقد كانت هذه الظاهرة القرآنية، التي نجبر مظهرها من مظاهر تفرد منجها واستقلاله عن كل طرق البحث والتأليف، ودليلاً من دلائل إعجازها سبباً بأن يدعي بعض العلماء المسلمين - عن حسن فصله - بأن القرآن اشتمل على عدد من السور، وأن السورة الواحدة يتنوع فيها الكلام بين كل آية وجارتها، فهذه للوعظ وتلك للقصة، وثالثة لحكم شرعي إلى غير ذلك من القضايا بما لا يتأتى حصول رابط يربط بينها، وقد نزلت في أوقات متباعدة وعلى أسباب مختلفة.

فمن بين العلماء القدامى الذي أبدى هذا الرأي الشيخ عز الدين بن عبد السلام حين قال: <sup>٣١</sup>المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر. ثم قال: ومن ربط ذلك فهو معكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك، يسان عنه حسن الحديث، فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، ولا

سباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض". (١٢)

ومن المحدثين الدكتور صبحي الصالح حين قال: "ومعيار الطبع أو التكلف فيما لمع من ضروب التناسب بين الآيات والسور يرتد في نظرنا إلى درجة التماثل أو التشابه بين الموضوعات، فإن وقع في أمور متحدة مرتبطة أو ألغها بآخرها فهذا تناسب معقول مقبول، وإن وقع على أسباب مختلفة وأهمل متنافرة فما هذا من التناسب في شيء". (١٤)

ولقد شجع هذا القول بعض المستشرقين، حتى حسبوا أن هذه الظاهرة ثلثة يمكن نقد القرآن عن طريقها، وعدوا ذلك عيباً فيه، واضطراباً في التأليف. ومن هؤلاء المستشرقين: (دوزي) الهولاندي، و(كارليل) الإنكليزي و(بلاشير) الفرنسي. (١٥)

قال بلاشير: "إن أشد الشواهد وضوحاً على ذلك نجد في سورة النور حيث تعالج بالتتابع أربعة موضوعات تتعلق أما بالزنا، وأما بروابط اللياقة بين الجنسين، ثم يأتي بيانان:

عن النور المنبثق عن الله، وعن قدرة الله العالقة، لا صلة لهما بما سبق... (١٦) ولقد فنند العلماء هذه الآراء وأبطلوا مزاعم المستشرقين مسترشدين بهدى هذا العلم (علم المناسبة) وردوا على هؤلاء وأمثالهم ردوداً منطقية قاطعة.

وتتركز هذه الردود على عدد من المحاور:

☆ المحور الأول: ردود مباشرة:

قال الشيخ ولي الدين الملوي: "قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع متفرقة، وفصل العطاب أنها على حسب الوقائع تزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً" (١٧).

وأشار الإمام الشاطبي إلى تعدد القضايا في السورة الواحدة وأكد أن هذا التعدد لا يمنع من وجود الترابط والتناسب بين الآيات، وضرب مثلاً بسورة (المؤمنون) (١٨) وقال الأستاذ محمد فريد وجدي: "إن القرآن الكريم كتاب لا كالكتب فيه كلام

لا كالكلام، لا يستطيع تاليه أن يزعم أن لا ترتيب فيه، بل يرى أن الترتيب مهما كان فسلطانه قاصر على الكلام البشري، يجعل عن هذا الكلام الإلهي، كما يجعل البحر أن يحد بما تحد به الحداول“ (١٩)

☆ المحور الثاني: موقف بلغاء العرب وشغرائهم من القرآن وعجزهم عن

معارضته:

نزل القرآن بلسان الغرب ولغتهم، قال الله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ (٢٠) وقال: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (٢١) وهم أعلم بها من غيرهم، وتلرج معهم في التحدي على أن يأتيوا بعشر سور مثله ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ (٢٢)

ثم اقتصر التحدي على سورة: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ (٢٣)

ولو كان في وسعهم أن يجعلوا نغرة للنفاذ منها ليقده ليا تردوا بل وقعوا مبهورين حائرين ولم ينقلهم من حيرتهم إلا أن قالوا كما أخبر القرآن: ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ (٢٤)

لم يقولوا أنه مفكك التركيب مهلهل البناء، مختلف القضايا والأغراض، لا رابطة تربطها، ولا سياق يجمعها.

بل أن الذي وصفه بالسحر لم يملك حين سمع آياته - إلا أن وصفه بأبلغ وصف وأدق تعبير حتى خشي القوم إسلامه، قال الوليد بن المغيرة حين سمع قوله تعالى: ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾ (٢٥) ”والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمشم، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر“ (٢٦)

وأما البلغاء فما برحوا يضربون به الأمثال في جودة السبك وأحكام السرد، حين

ينتقل من فن إلى فن، ومن موضوع إلى آخر.

☆ المحور الثالث: نزول القرآن متصفاً في فترات متباعدة:

إن القرآن نزل في أوقات متباعدة على مدى ثلاث وعشرين سنة وفي أغراض من الكلام متعددة ومتنوعة، بعضه مكّي، وبعضه مدني، لكنه بهذا الترتيب والوضع الذي هو عليه الآن بوحى الله وتوفيقه، يرى كأنه نزل اليوم جملة واحدة، كما هو في اللوح المحفوظ.

والمأمل في أماكن نزول القرآن يعلم أن هناك آيات مدنية في سور مكية، وآيات مكية في سور مدنية. فقلوه تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (٢٧) تعتبر من آخر القرآن نزولاً، وقد نزلت بعرفات في حجة الوداع، وألحقت بسورة المائدة المدنية (٢٨)

وقوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم....﴾ (٢٩)

فالآية الكريمة وما تلتها من آيات إلى قوله تعالى: ﴿إنا اعتدنا للظالمين ناراً﴾ نزلت بالمدينة في شأن سلمان الفارسي وأبي ذر وفقراء المسلمين، وألحقت بسورة الكهف وهي مكية. (٣٠)

فهل مكان نزول الآية أو الآيات وزمنها هو الذي يحدد موضعها من السورة. كلا. وإنما هناك شيء آخر هو الذي يحدد موضعها وهو الموضوعية للسورة. وإلا فلو كان القرآن مختلط الأغراض والقضايا بلا رابطة كما يزعم المستشرقون، ما كان هناك سبب ولا معنى لإلحاق آية مدنية بسورة مكية، ولا آية مكية بسورة مدنية، وكان الأولى أن توضع حيث نزلت في أي سورة متجانسة معها في الزمان والمكان.

بل أن وضعها في سورة غير متحلة معها في الزمان والمكان، وفي موضع معين منها بالنسبة، لهو أشد دلالة على وجود مناسبة بينها وبين جارتها.

ولقد كان جبريل . عليه السلام . ينزل بالوحي ، ثم يخبر الرسول ﷺ بأن مكان الآية أو الآيات هو في سورة كذا عقب آية كذا .

فهى إذن توضع في موضعها المقرر، كما هي في اللوح المحفوظ- (٣١)  
 إن الزمان- كما يقول الزركشي - لا يشترط في المناسبة، لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها، والآيات كانت تنزل على أسبائها، وبأمر النبي ﷺ بوضعها في المواضع التي علم من الله تعالى أنها مواضعها- (٣٢)

☆ المحور الرابع: تعدد القضايا هو الدافع إلى تلمس المناسبة:

إن هذا التعدد والتنوع في القضايا والأغراض هو نفسه الدافع إلى تلمس وجه المناسبة بين الآية وجارتها، أو لو كان المعنى واحداً في آيات السورة، فلماذا تلمس المناسبة؟ وكيف؟ هل تعقد مناسبة بين الشيء ونفسه؟ (٣٣)

غير أن طلب المناسبة أمر دقيق، حتى قال الزركشي: "وعلم المناسبة علم شريف، قل اعتناء

لمفسرين به لله" (٣٤)

قال الله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله حاشين﴾ (٣٥) موضع الآية الكريمة مثال حلى لهذا التنوع في القضايا والأغراض، فقد وردت عقب آيات تشريع الهدنة والطلاق، للتببيه الإلهي بوجوب المحافظة على الصلاة في كل الأوقات ولما انتهت بعد هذه القضايا.

فما الحكمة في معنى هذا الحكم، وهل هو غريب عن السياق؟ يحجب عن هذا المفسر البيضاوي بقوله: "لعل الأمر بها في تضاعف أحكام الأولاد والأزواج لتلا بلهيم الاشتغال بنسائهم عنها" (٣٦) ثم أن القضايا السابقة واللاحقة لهذا الحكم عادة ما تكون مشار نزاع وعصام، والدعوة إلى المحافظة على الصلاة في نخضم هذه الأحداث يفرس في النفوس روح المراقبة والعشية منه سبحانه وتعالى . وما كان كذلك فلن يحبس حقوق الآخرين. (٣٧)

وفيه إحياء بأن هذه الأمور كلها عبادات، وطاعة الله فيها من جنس طاعته في

الصلاة (٣٨)

☆ المحور الخامس: حكم عليا وغايات سامية.

إن هذه الظاهرة في هذا المنهج الإلهي يمكن أن يستتبط منها حكم عالية وغايات

سامية تقتصر دونها المناهج البشرية منها:

١- إن جميع مقاصد القرآن التي جعلها الله سبحانه هداية للبشر إنما تدور جميعها على الدعوة إلى الله. والقرآن يثبث هذا المعنى من خلال المقاصد والأغراض الموزعة على كافة الآيات والسور، فلو جمع كل نوع منها على حدة لفقد القرآن بذلك أعظم مزايا هدايته المقصودة وهي التبليغية. (٣٩)

٢- هذه الظاهرة تنفي الملل والسآمة عن القارئ أو السامع من طول النوع الواحد، فيقبل كل منهما على الاستكثار من أزمان تلاوته وسماعه الذي هو أحد أغراض القرآن. قال الأستاذ محمد رشيد رضا: "وقد خطر لي وجه وهو الذي يطرد في أسلوب القرآن العاص في مزج مقاصد القرآن بعضها ببعض، من عقائد، وحكم، ومواعظ، وأحكام تبليغية ومدنية، وغيرها. وهو نفي السآمة عن القارئ، والسامع من طول النوع الواحد منها، وتحديد نشاطها ومنهجها" (٤٠)

٣- إن أسلوب القرآن في التوفيق بين القضايا والأغراض المتنوعة، فإذا هي بنية متماسكة، مع حسن ربط، وبراعة مسلك، وانتقال من غرض إلى غرض، من غير جفوة أو نبوة، أو غربة بين أجزاء الكلام، دليل من دلائل إعجازه.

يقول الزمخشري في تفسيره: "لأنظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه، وترتيبه، ومكانة أضماده، ورسافة تفسيره، وأخذ بعضه بحجز بعض، كأنما أفرغ إفرغاً واحداً، ولأمر ما أعجز القوي، وأحرس الشقائق" (٤١)

ويقول الفخر الرازي في محامته تفسيره لسورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم



هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك" (٤٢)

ولعل بعض المفسرين لم يبالغوا حين قلموا - أحياناً - ذكر المناسبة بين الآيات على معرفة سبب نزولها، كلما رأوا هذه المناسبة هي التصححة لنظم الكلام - (٤٣)  
أوجه الارتباط بين الآي والسور

### أولاً - بين الآيات :

لقد تفنن القرآن وأبدع في تنقلاته بين فن وفن، عن طريق أساليب الربط التي يستعملها بلغاء العرب وشعراؤهم، بحيث جاءت أساليبه بلهجة عزيز أمثالها في شعر العرب ونثرهم. فهو يستعمل أساليب العطف والاعتراض، والاستطراد والتنظير والتذييل، وحسن التخلص، والاتفات والإتيان بالمترادفات تحبباً للقل في مواطن التكرير، والتقديم والتأخير إلى غير ذلك.

وفي روعة التنقل بين المفروض والأعبر، مع وجود المناسبات بين المتقل منه والمتقل إليه ما لا يشعر السامع أو القارئ بهذه النقلة إلا بعد حصولها (٤٤) -  
وسأضرب بعض الأمثلة تميظ الشام عن أهمية "علم المناسبة" من الجانب التطبيقي، من أجل الوقوف على الزواج القوية التي تربط آيات القرآن وسوره، حتى يبدو لك كالكلمة الواحدة.

قال الله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (٤٥)

فقد يتساءل المرء عن وجه المناسبة بين أحكام الأهلة، وحكم إتيان البيوت؟ ثم لا يلبث أن يكتشف سر الارتباط في تعريض القرآن بأن سؤالهم عن الأهلة، وعن الحكمة

في نقصانها وتامها في غير محله، وكان الأجدر أن يسألوا عن حكم أمر يفعلونه ليس من البر في شيء مع العلم بأن ما يفعله سبحانه وتعالى لا يكون إلا لحكمة بالغة ولمصلحة العباد.

فأقرآن أجاب عن سؤالهم، بأنها موافقة للحج بأسلوب الحكيم ثم ربط الإجابة بعادة جاهلية خاصة بالحج، عن طريق التعريض والاستطراد.

قال الواحدي: «كانت الأنصار إذا حجوا فحاوروا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فحله رجل، فدخل من قبل باب مكانه فغير بذلك» (٤٦)

فكانه قال لهم: كان الأولى بكم أن تسألوا عن حكم صنيتكم هذه، وتركوا السؤال عن الأهلة (٤٧)

وقد تكون العلاقة بين آية وأخرى التضاد، وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، وذكر الكفر بعد الإيمان، أو ذكر الرغبة بعد الرهبة.

قال تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ (٤٨). وقال: ﴿الم بأن للذين آمنوا أن تحشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ (٤٩)

قال الإمام الشاطبي: «إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه بالترهيب في لواحقه وسوابقه أو قرائنه وبالعكس، وكذلك الترغيب مع التصويف، وما يرجع إلى هذا المعنى مثله، ومنه ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار وبالعكس» (٥٠)

ولما كانت بعض النفوس تأبى إلا أن تنصرف لنفسها ممن اعتدى عليها بين سبحانه حد الانتصار بقوله: ﴿هو الذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة مثلها﴾ ثم رغب في العفو فقال: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ بعدها أشار إلى أن الذي يرد الإساءة بمثلها، لا لوم عليه وإنما اللوم والمواخلة على النبي يعتدي على الناس،

ويتكبر في الأرض، فقال: ﴿ولمن اتصم بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغترون في الأرض بغر الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ وفي التنزيل بقوله تعالى: ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ تهيب شديد . ثم عظم سبحانه الآية بالترغيب في الأفضل، فقال: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عوم الأمور﴾ (٥١) فالذي يصبر على الظلم، ويكف نفسه عن الانتقام ولا يتصمر لنفسه، عندما لا يكون العفو تمكيداً للفساد في الأرض، إن ذلك منه لمن عوم الأمور التي نلصق إليها عباده، وعزم عليهم العمل بها (٥٢)

ومن أمثلة حسن التعليل قوله تعالى: ﴿وإنا نرى موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإني... إني قوله أولئك هم المفلحون﴾ (٥٣) فإن الله سبحانه وتعالى ذكر الأنبياء والقرون الماضية إلى عهد موسى عليه السلام - فلما أراد ذكر نبينا محمد ﷺ ذكره بتعريض انتظم به بعض الكلام ببعض. ألا ترى إلى قول موسى: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك﴾ (٥٤) فأجيب بقوله: ﴿قال عبادي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ (٥٥)

فأعبر سبحانه بأن رحمته وسعت كل شيء، وسيكتبها للذين من حالهم كذا وكذا ومن صفتهم كذا وكذا، وهم الذين يتبعون النبي الأمي، ثم وصفه بصفته ﷺ (٥٦) ومن أمثلة التكرير قوله تعالى: ﴿يا أيها الكافرون لا أعبدكم تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾ (٥٧) وهذا التكرير أعطى فوائد حممة فقوله ﴿لا أعبد﴾ في المستقبل من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلمون ما أطلبه منكم من عبادة إلهي، وقوله: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ في الماضي لم يكن من شأني عبادة ما عبدتم من أصنام في الجاهلية، فإني أرجو ذلك مني في الإسلام؟

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في أي وقت ما أنا على عبادته الآن (٥٨).

قال ابن الأثير كأنه يرد على القائلين بعدم الفائدة من التكرير في القرآن: "فأعلم ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره، فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه فانظر إلى سوابقه ولو احقه، لتتكشف لك الفائدة منه" (٥٩)

ومن أمثلة الاعتراض قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسام لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم﴾ (٦٠) وهو اعتراض بين القسم ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ وبين جوابه ﴿إنه لقرآن كريم﴾ وهناك اعتراض آخر بين الموصوف ﴿قسم﴾ وبين صفته ﴿عظيم﴾ وهو قوله ﴿لو تعلمون﴾ وفائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه لتعظيم شأن المقسم به في نفس القارىء أو السامع. (٦١)

ومن أمثلة الالتفات قوله تعالى: ﴿وقالوا اتعذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدا﴾

(٦٢)

فقوله تعالى: ﴿لقد جئتم﴾ وهو خطاب للحاضر بعد قوله ﴿وقالوا﴾ وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة، وهي زيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى، والتعرض لسخطه، لعظم ما قالوه، كأنه يخاطبهم منكرأ عليهم وموبخاً لهم) (٦٣)  
ثانياً بين السور:

أما ارتباط سور القرآن فعلى ثلاثة أقسام:

☆ القسم الأول:

مناسبة فواتح السور لخواتمها، فسورة (المؤمنون) افتتحت بقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ وورد في خاتمتها قوله تعالى: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾.

قال الزمخشري: "فستان ما بين الفاتحة والخاتمة" (٦٤). وسورة (ص) بدأها بالذكر في قوله تعالى: ﴿ص والقرآن الذكر﴾ وورد في خاتمتها قوله تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين...﴾ (٦٥) وسورة (القلم) بدأها قوله عز وجل: ﴿بن والقلم وما يسطرون ما

أنت بنعمة ربك بمحنون ﴿٦٦﴾ ونحتمها بقوله: ﴿ويقولون إنه لمحنون وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ ﴿٦٧﴾

وسورة الإسراء ابتدئت بالتسبيح بقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده...﴾ ﴿٦٨﴾ الآية، ونحتمت بالحمد في قوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا...﴾ والتسبيح حيثما ذكر فهو مقدم على الحمد لقول: سبحان الله والحمد لله. (٦٩) ☆ القسم الثاني: مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها:

قال الزركشي: "إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة، لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يتعفى تارة ويظهر تارة" (٧٠)

فسورة الأنعام افتتحت بالحمد بقوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ (٧١) فإنه مناسبة لختام سورة المائدة من فضل القضاء (٧٢) كما في قوله تعالى: ﴿وقضى بينهم بالحق وقبل الحمد لله رب العالمين﴾ (٧٣) وكافتتاح سورة (فاطر) بقوله تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ فإنه مناسب لخاتمة سورة سبأ التي قبلها بقوله تعالى: ﴿ووحيل بينهم وبين ما يشتهون...﴾ (٧٥) الآية.

وافتتاح سورة الحديد بالتسبيح بقوله تعالى: ﴿سبح لله ما في السموات والأرض﴾ (٧٦) فإنه في غاية المناسبة لختام سورة الواقعة التي قبلها التي أمرت به (٧٧) بقوله: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ (٧٨)

وافتتاح سورة المائدة بالأمر بالوفاء بالعقود في قوله تعالى: ﴿ها أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ فإنه مناسب لختام سورة النساء في قوله تعالى: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة...﴾ الآية. ففيها بيان للفرائض ومستحقيها، فالواجب أن تؤدي على الوجه الصحيح.

☆ القسم الثالث: مناسبة افتتاح السورة لمقاصدها:

فسورة الإسراء افتتحت بالتسبيح بقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾  
 وسورة الكهف وهي تالية لها في الترتيب افتتحت بالحمد، بقوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي  
 أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾ (٧٩) وذلك لأن التسبيح الحمد قال الله  
 تعالى: ﴿سبح بحمدي﴾ (٨٠)

ووجه المناسبة بين التسبيح في سورة الإسراء والتحميد في سورة الكهف، أن  
 سورة الإسراء ابتدأت بقصة الإسراء، وكذب المشركون محمداً ﷺ فناسب أن تفتح  
 بالتسبيح تصديقاً لنبئه، وتزيهاً له. سبحانه. لأن تكذيبهم لنبئه هو تكذيب لله تعالى.  
 أما سورة الكهف، فإنه لما احتسب الوحي، وأرجف المشركون بسبب ذلك  
 أنزلها الله رداً عليهم، وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه ﷺ بل أتم عليه ينزل الكتاب فناسب  
 افتتاحها بالحمد على هذه النعمة (٨١).

وسورة النساء افتتحت بقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من  
 نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون  
 به والأرحام...﴾ (٨٢)

حيث تضمنت الآية المفتحة بهاتقوى الله عزوجل، وهو مناسب لما تضمنته  
 السورة من أحكامه عزوجل من نكاح النساء، والمحرمات، والموارث المتعلقة بالأرحام.  
 (٨٣)

أما سورة المائدة، فقد افتتحت بالوفاء بالعقود بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا  
 أوفوا بالعقود﴾ (٨٤) وهو مناسب لما تضمنته من بيان تمام الشرائع وإكمال الدين، والوفاء  
 بعهود الرسل، وفيها تحريم الخمر والصيد، وعقوبة السارق والمحارب، وإجلال  
 الطيبات. (٨٥)

وبعد، فإنك تجد القرآن الكريم في عرضه للقضايا والأغراض أشبه ببستان فرقت  
 ثماره وأزهاره في جميع جنباته، كي يأخذ المرء أنى وجد منه ما ينفعه وما يشتبهه من ألوان

مختلفة وأزهار متنوعة، وثمار يمانون بعضها بعضاً في الروح العام الذي يقصده، وهو روح  
التفنية بالنافع والهداية إلى الخير.

فجميع أراضه مرابطة في آياته وسوره، مع التفتتات والألفه، قال الشيخ كمال  
الدين الزمكاني: "وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور فما ظنك بالآيات، وتعلق بعضها ببعض،  
بل عند القائل يظهر أن القرآن كالكلمة الواحدة" (٨٦)

### الهوامش

١. تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنارج ٢ ص ٤٥٢.
٢. انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ٥ ص ٤٢٣.
٣. انظر الصحاح للجوهري ج ١ ص ٢٢٤.
٤. القاموس المحيط للفيروزآبادي ج ١ ص ١٣٦.
٥. انظر معجم مقاييس اللغة ج ٣ ص ٢٠٤.
٦. أغلب المصنفات والمراجع لم تعرض له ما عدا كتاب مباحث في علوم القرآن.  
لمناع القطان فقد أعطى تعريفاً لها.
٧. انظر البرهان في علوم القرآن للزركلي ج ١ ص ٣٦.
٨. البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٦.
٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للباقي ج ١ ص ٦.
١٠. البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٥.
١١. انظر البرهان ج ١ ص ٢٥٧ وما بعدها، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١  
ص ٦٢ وما بعدها، وروح المعاني للأوسمي ج ١ ص ٢٧، وتفسير القرطبي ج ١  
ص ٥٣، ومباحث في علوم القرآن لصبحي صالح ص ٧١، ومنهج القرآن في  
تقرير الأحكام للأستاذ مصطفى الهاشمي ص ٦١ وما بعدها.

١٢. البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٧.
١٣. مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ١٥٢.
١٤. انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٩٨.
١٥. انظر المصحف المفسر (المقدمة) لمحمد فريد وحدي ص ٩٤.
١٦. القرآن- نزوله وتلويته- لبلاشير ص ٦٩.
١٧. البرهان للزركشي ج ١ ص ٣٦.
١٨. انظر الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي ج ٣ ص ٤١٥.
١٩. المصحف المفسر (المقدمة) ص ٩٤.
٢٠. سورة الشعراء الآية ١٩٥.
٢١. سورة يوسف الآية ٢.
٢٢. سورة هود الآية ١٣.
٢٣. سورة البقرة الآية ٢٢.
٢٤. سورة المدثر جزء من آية ٢٤.
٢٥. سورة غافر الآيات ٣، ٢٠، ٢١.
٢٦. تفسير القرطبي ج ١٩ ص ٧٤.
٢٧. سورة المائدة جزء من الآية ٣.
٢٨. انظر أسباب النزول للواحد ص ١٢٦ والبرهان ج ١ ص ١٩٥.
٢٩. سورة الكهف الآية ٢٨-٢٩.
٣٠. انظر أسباب النزول للواحد ص ٢٠١، والبرهان ج ١ ص ٢٠١.
٣١. انظر الإتيان للسيوطي ج ١ ص ٦١ وانظر دراسات قرآنية لمحمد قطب ص ٤٠٦ وما بعدها.
٣٢. انظر البرهان ج ١ ص ٢٦.



٣٣. انظر مجلة منبر الإسلام (الوحدة الفكرية في السورة القرآنية) العدد ٧ السنة ٣٢ يوليو ١٩٧٤ م ص ٥٠ وما بعدها.
٣٤. البرهان ج ٢ ص ٣٦.
٣٥. سورة البقرة الآية ٢٣٦.
٣٦. تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٨١.
٣٧. انظر التفسير الوسيط ص ٦٨٠.
٣٨. انظر النبا العظيم ص ٢٠٦ وتفسير المنارج ج ٢ ص ٤٤٥.
٣٩. انظر تفسير المنارج ج ١١ ص ١٩٧، من روائع القرآن للبوطي ص ١٤٣.
٤٠. تفسير المنارج ج ٢ ص ٤٤٥.
٤١. الكشاف ج ٢ ص ١٥٣.
٤٢. التفسير الكبير ج ٧ ص ١٣٨.
٤٣. انظر البرهان ج ١ ص ٦٤، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٥٠.
٤٤. انظر البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٤٠ وما بعدها، والتحرير والتنوير لابن عاشور، المقدمة العاشرة، ج ١ ص ١١٦ وما بعدها.
٤٥. سورة البقرة الآية ١٨٩.
٤٦. انظر الكشاف ج ١ ص ١٤١، والبرهان ج ١ ص ٤١.
٤٧. أسباب النزول للواحي ص ٣٢.
٤٨. سورة الإسراء الآية ٥٧.
٤٩. سورة الحديد الآية ٣٥.
٥٠. الموافقات للشاطبي ج ٣ ص ٣٥٨.
٥١. سورة الشورى الآيات ٣٧-٤٠.

٥٢. انظر التفسير الواضح لمحمود حجازي ج ٢٥ ص ٢٥، ومجلة منبر الإسلام  
العدد ٦ ص ٢٨-
٥٣. سورة الأعراف الآيات ١٥٥-١٥٧.
٥٤. الأعراف ١٥٦.
٥٥. الأعراف ١٥٦، ١٥٧.
٥٦. انظر المثل السائر لابن الأثير ج ٣ ص ١٣١.
٥٧. سورة الكافرون.
٥٨. انظر المصدر السابق ج ٣ ص ٧.
٥٩. المصدر السابق ج ٣ ص ٨.
٦٠. سورة الواقعة الآيات ٧٨-٨٠.
٦١. انظر المصدر السابق ج ٣ ص ٢٤.
٦٢. سورة مريم الآيات ٨٩-٩٠.
٦٣. انظر المثل السائر ج ٢ ص ١٧٥.
٦٤. الكشف ج ٣ ص ٤٥.
٦٥. سورة ص الآية ٨٥.
٦٦. سورة القلم الآيات ٢٠١.
٦٧. سورة القلم الآيات ٥١، ٥٢.
٦٨. سورة الإسراء الآية ١.
٦٩. سورة الإسراء الآية ١١٠.
٧٠. البرهان ج ١ ص ٣٨.
٧١. سورة الأنعام الآية ١.
٧٢. انظر المصدر السابق ج ١ ص ٣٨ والإتقان ج ٢ ص ١١١.

٧٣. سورة الزمر الآية ٧٢.
٧٤. سورة فاطر الآية ١.
٧٥. سورة سبأ الآية ٥٤.
٧٦. سورة الحديد الآية ١.
٧٧. انظر البرهان ج ١ ص ٣٩ والإتقان ج ٢ ص ١١٤.
٧٨. سورة الواقعة الآية ٩٩.
٧٩. سورة الكهف الآية ١.
٨٠. سورة النصر، جزء من الآية ٣.
٨١. انظر البرهان ج ١ ص ٣٩، والإتقان ج ٢ ص ١١٤.
٨٢. سورة النساء الآية ١.
٨٣. انظر الإتقان ج ٢ ص ١١٢.
٨٤. سورة المائدة الآية ١.
٨٥. انظر المصدر السابق.
٨٦. البرهان ج ١ ص ٣٩.

## المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (بيروت: نشر المكتبة الثقافية ٧٣ م).
٢. أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (بيروت: دار الكتب العلمية).
٣. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي: تحقيق: د. محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه) ط ٢، ١٩٧٣ م.
٤. تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، (الدار التونسية).

- للنش) تونس ١٩٨٤ م.
٥. تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (لبنان: نشر دار المعرفة) ط ٢.
٦. تفسير القرآن الكريم المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي تحقيق: محمد سالم محيسن، شعبان محمد إسماعيل (مصر: مكتبة الجمهورية العربية).
٧. التفسير الكبير المسي . (مفاتيح الغيب) محمد بن عمر التيمي الشهير بالفخر الرازي (مصر: المطبعة البهية).
٨. التفسير الواضح، د . محمد محمود حجازي (مطبعة الاستقلال الكبرى) ط ٣، ١٩٦٣ م.
٩. الجامع لأحكام القرآن الشهير (بتفسير القرطبي) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (القاهرة: دار القلم) ط ٣، ١٩٦٦ م.
١٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (منشورات جامعة بنغازي) ١٩٧٤ م.
١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . لمحمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (بيروت: دار إحياء التراث العربي)
١٢. القاموس المحيط - الفيروز آبادي (بيروت: نشر المؤسسة العربية للطباعة والنشر).
١٣. القرآن - نزوله وتلويحه - المستشرق الفرنسي بلاشير، ترجمة: رضا سعادة إشراف: الأب فريد جبر، تحقيق: الشيخ محمد علي المرغني (بيروت: دار الكتاب اللبناني) ١٩٧٤ م.
١٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة محمود الزمخشري (بيروت: نشر دار الفكر).

١٤. لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور المصري (بيروت: دار صان) -
١٥. مباحث في علوم القرآن صبحي الصالح (بيروت: دار العلم للملايين) ط ٨ - ١٩٧٤ م.
١٧. مباحث في علوم القرآن مناع القطان (بيروت: مؤسسة الرسالة) ط ٤ - ١٩٧٦ م.
١٨. منهج القرآن الكريم في تقرير الأحكام للأستاذ مصطفى الباحثني (طرابلس المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان) ط ١، ١٩٨٤ م -
١٩. معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس - تحقيق: علي محمد عمر (القاهرة: نشر مكتبة وهبة) ١٩٧٢ م.
٢٠. من روائع القرآن - محمد سعيد البيوطي - مكتبة الفارابي - ١٩٧٧ م.
٢١. الموافقات في أصول الشريعة - إبراهيم بن موسى الشاطبي (بيروت/دار المعرفة للطباعة والنشر) ط ٢، ١٩٧٥ م.
٢٢. النبأ العظيم - محمد عبد الله دراز (الكويت: دار القلم) ط ٢، ١٩٧٠ م.
٢٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين البقاعي - تحقيق/محمد عبد المعين حان (الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن) ١٩٦٩ م.
٢٤. المصحف المفسر (المقلمة) محمد فريد وجدي (الدار العربية للكتاب) ١٩٨٥ م.
٢٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير - تحقيق/أحمد الحوفي، بلوي طبانة (مكتبة نهضة مصر بالقاهرة).
٢٦. بالإضافة إلى عدد من مجلة منبر الإسلام:
- (١) مجلة منبر الإسلام: العدد ٧ السنة ٣٢ يوليو ١٩٧٤ م.
- (٢) مجلة منبر الإسلام: العدد ٦ السنة ١١ يوليو ١٩٧٣ م.